علاقات أسلوبية بين الألفاظ في آيات من التنزيل
(دراسة في الإعجاز البلاغي)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...،

فهذه الدراسة تشمل علاقات ائتلاف الألفاظ مع بعضها في سياق الآيات، وبيان علة ذلك، والائتلاف في مثل هذه العلاقات قد يكون في عبارة واحدة أو في نص يكتنف هذه العبارة من السورة أو بين آيات في عدة سور يجمعها سبب فتكون على صورة لفظية معينة تؤدي غرضها، ومن هذه العلاقات:

- ائتلاف اللفظ مع اللفظ:

وهذه **العلاقة الأسلوبية** عرفها العلوي بقوله: (أن تريد معنى من المعاني تصح تأديته بألفاظ كثيرة ولكنك تختار واحداً منها لما يحصل فيه من مناسبة ما بعده وملاءمته)[1]. وقال الحموي: (هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع، ويأخذ عدة معان فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف)[2]، كقول البحتري في الإبل النحيلة[3]، من [البحر الخفيف]:

يَتَرَقْرَقْنَ كالسَّرابِ وَقَدْ خُضْنَ غِماراً من السَّرابِ الجاري
كالقِسِيِّ المُعَطَّفَاتِ بَلِ الأَسْهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الأَوْتَارِ

فإن تشبيه الإبل بالقسي المحنية من حيث هو كناية عن هزالها يصح معه تشبيهها بالعراجيين والأهلة والأطناب ونحوها، فاختار من ذلك تشبيهها بالأسهم والأوتار لما بينهما وبين القسي من الملاءمة والائتلاف وحسن التشبيه[4]. وقد حصر المدني قول البحتري الآنف في (مراعاة النظير)[5] وهو نوع من الائتلاف والمناسبة بين الألفاظ والمعاني. ورشح هذا الائتلاف- وهو نوع من البديع- ما سلك فيه الشاعر طريقة التشبيه في (البيان) للإبانة والتوضيح.

▩ **ومن الائتلاف** ما تآلفت كل لفظة فيه مع قرينتها على صورة من التقابل نحو قوله تعالى: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۞ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾ [الرحمن: 5- 6]،

فاقترنت لفظة (الشمس) مع (القمر) وهما جرمان سماويان، كما اقترن لفظ (النجم)- وهو النبات الذي لا ساق له- مع (الشجر) وهما عنصران أرضيان. قال الزمخشري: (فإن قلت: أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف، قلت: إن الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر: أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل)[6]. واختير لفظ (النجم) كذلك لما بينهما وبين الشمس والقمر من ائتلاف في اللفظ على طريقة الكناية. قال السيوطي في ائتلاف اللفظ مع اللفظ: (هو أن تكون الألفاظ تلائم بعضها بعضاً، بأن يقرن الغريب بمثله، والمتداول بمثله، رعاية لحسن الجوار والمناسبة)[7] نحو قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً**﴾ [يوسف: 85] أتى بأغرب ألفاظ القسم، وهو (التاء) فإنها أقل استعمالاً، وأبعد إلى إفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار، وهو (تفتأ)، فإن (تزال) أقرب إلى الإفهام، وأكثر استعمالاً منها، وبأغرب ألفاظ الهلاك، وهو (الحرض) فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة، توخياً لحسن الجوار وتناسب النظم ولما أراد غير ذلك قال: ﴿**وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**﴾ [الأنعام: 109]، فأتي بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها.

وقد وضع الزركشي هذا التمثيل مع مشاكلة اللفظ للمعنى[8]، ووضعه السيوطي مع ملاءمة الألفاظ للألفاظ في تعريفه السابق، إذ ذكر ما يدل على مراعاة الألفاظ، ولم يتعرض للدلالة المعنوية لهذه المراعاة، وهو ما أخذنا به، لمشاكلة اللفظ للفظ الآخر.

▩ **ومن تناسب الألفاظ مع الألفاظ** قوله تعالى في سورة هود: ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ**﴾ [هود: 67]، ثم قال: ﴿**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ**﴾ [هود: 94]. فإن التذكير والتأنيث حسنان، لكن التذكير أخف في الأولى بحذف حرف منه، وفي الأخرى وافق ما بعدها في اللفظ وهو ﴿**كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾ [هود: 95] في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ**

ثَمُودُ﴾، فيلاحظ أن تجاور الألفاظ على صورة من التناسب فيما بينها يجعلها أكثر ائتلافاً في النظم.

▩ **ومن المجاورة لأجل التناسب** قوله تعالى في سورة النحل: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ**﴾ [النحل: 61]، وفي سورة فاطر: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ**﴾ [فاطر: 45]. الهاء في سورة النحل في (عليها) كناية عن الأرض، ولم يتقدم ذكرها، كما تقول العرب: فلان أفضل من عليها، ولما كان كناية عن غير مذكور لم يزد معه الظهر لئلا يلتبس بالدابة؛ لأن الظهر أكثر ما يستعمل في الدابة، قال ﷺ: ''**إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**''[9].

وأما في سورة فاطر، فقد تقدم ذكر الأرض في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾ [فاطر: 44]، وبعدها ﴿**وَلَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [فاطر: 44] فكان كناية عن مذكور سابق. فذكر الظهر حيث لا يلتبس[10]. ونظم هذا الكلام عند الخطيب الإسكافي أنه لما قال في النحل: (بظلمهم) لم يقل (على ظهرها) احترازاً عن الجمع بين الظائين لأنها تقل في الكلام، وليس لأمة من الأمم سوى العرب، ولم يجئ في سورة النحل إلا في سبعة أحرف، نحو: الظلم، والنظر، والظل، وظل وجهه، والظهر، والعظم، والوعظ. فلم يجمع بينهما في جملتين معقودتين عقد كلام واحد وهو: لو وجوابه[11]، فانظر كيف أن الكلام تناسبت ألفاظه على ما بين السورتين من تباعد في مكانهما من ترتيب السور وزمانهما.

▩ **ومن الائتلاف بين الألفاظ** أيضاً قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿**لَّوْ مَا تَأْتِينَا**﴾ [الحجر: 7]، وفي غيرها: (لولا) لأن لولا تأتي على وجهين، أحدهما: امتناع الشيء لوجود غيره وهو الأكثر، والثاني: بمعنى (هلا) وهو للتحضيض، ويختص بالفعل، ولولا بمعناه، وخصت هذه السورة بـ(لوما) موافقة لقوله تعالى: ﴿**رُّبَمَا يَوَدُّ**﴾ [الحجر: 2] فإنها مما خصت به هذه السورة أيضاً وهذا تناسب في اللفظ في كلام معجز في سورة خصت فيها ألفاظ متوافقة في الصورة اللفظية. ومنه أيضا قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً**﴾ [الحجر: 28]، وفي سورة

ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً﴾ [ص: 71]، وقال في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، ولا ثالث لهما؛ لأنَّ (جَعَلَ) إذا كان بمعنى خلق يستعمل في الشيء يتجدد ويتكرر، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] لأنهما يتجددان زماناً وكذلك الخليفة، يدل لفظه على أن بعضهم يخلف بعضاً إلى يوم القيامة. وخصت هذه السورة (الحجر) بقوله: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً﴾ إذ ليس في لفظ البشر ما يدل على التجدد والتكرار[12]، فجاء في كل واحد من السورتين ما اقتضاه ما بعده من الألفاظ.

ويأتي هذا التناسب والائتلاف لموافقة ما قبله وما بعده من الألفاظ، نحو قوله تعالى في سورة النحل: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ [النحل: 34]، وكذلك الجاثية[13] وفي غيرها: ﴿مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر: 48]. وقد علل الغرناطي وجه التناسب في كل من الألفاظ المذكورة، أنه ورد قبل آية النحل قوله تعالى مخبراً عن المشركين: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 28]، ثم استمرت الآي إلى قوله: ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 32]. ثم صرف الكلام إلى كفار العرب في توقفهم عن الإيمان فقيل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل: 33]، ثم قيل: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النحل: 33]، والمراد من قال: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ [النحل: 28] ومن كان على مثل حالهم فقيل بناء على قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ [النحل: 34]، وتناسب هذا أبين تناسب.

وأما آية الزمر فقد وقع قبلها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [الزمر: 47]، إلى قوله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزمر: 47-48]. وبعد هذا: ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: 50]، ثم قال: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: 51]، وقوله: (من هؤلاء)، يعني: كفار العرب[14].

▩ **ومن ائتلاف الألفاظ في ردف الشبه بمثله** قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ**﴾ [الأعراف: 57] بلفظ المستقبل، وفي سورة الروم كذلك بلفظ المستقبل، وفي سورة الفرقان بلفظ الماضي، وفي سورة فاطر بلفظ الماضي كذلك؛ لأن ما قبل آية الأعراف ذكر الخوف والطمع وهو قوله: ﴿**وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً**﴾ [الأعراف: 56] وهما يكونان في المستقبل لا غير، فكان (يرسل) بلفظ المستقبل أشبه بما قبله، وفي الروم قبله: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ**﴾ [الروم: 46]، فجاء بلفظ المستقبل لفقاً لما قبله. وأما في الفرقان فإن قبله أفعال ماضية قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ**﴾ [الفرقان: 45]، وبعد الآية: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ**﴾ [الفرقان: 47]، و﴿**مَرَجَ**﴾ [الفرقان: 53]، و﴿**خَلَقَ**﴾ [الفرقان: 54] فكان الماضي أليق به. وفي فاطر مبني على أول السورة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ**﴾ [فاطر: 1]، وهما بمعنى الماضي لا غير، فبني على ذلك فقال: (أرسل) بلفظ الماضي ليكون الكل على مقتضى اللفظ الذي خص به. وكذلك عطف المستقبل واسم الفاعل على اسم الفاعل في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ**﴾ [الأعراف: 62] في قصة نوح، وقال في قصة هود: ﴿**وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾ [الأعراف: 68]؛ لأن ما في الآية الأولى (أبلغكم) بلفظ المستقبل فعطف عليه (أنصح لكم) كما في الآية الأخرى: ﴿**لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ**﴾ [الأعراف: 79] فعطف الماضي، لكن في قصة هود قابل باسم الفاعل على قولهم له: ﴿**وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [الأعراف: 66] ليقابل الاسم بالاسم[15].

والعدول في الأفعال وغيرها سمة من سمات القرآن إذ أن تآلف الألفاظ على صورة من صور الإعجاز يتنبه إليها من خبر أساليب القرآن وبلاغته، فهذه دلائل معجزة إذا ما عرفنا أن القرآن نزل مفرقاً على الرسول ﷺ، وأن الألفاظ مهما تباعدت أو تقاربت وضعت موضعها المناسب له في اللفظ والمعنى.

ومن الدلائل على هذه السمة ما ذكرناه وما نذكره في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿**إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**

﴿ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً...﴾ [الأنعام: 95- 96]، وفي سورة آل عمران: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: 27]، وفي سورة يونس: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: 31]. فترى سبحانه قال في الأنعام: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾ وفي آل عمران ويونس: ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ﴾؛ لأن ما في الأنعام وقعت لفظة (مخرج) بين أسماء الفاعلين، وهو (فالق) في قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: 95]، وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً﴾ [الأنعام: 96]. واسم الفاعل يشبه الاسم من وجه فيدخله الألف واللام والتنوين والجر وغير ذلك، ويشبه الفعل من وجه فيعمل عمل الفعل، ولا يثنى ولا يجمع إذا عمل، ولهذا جاز عطف الفعل عليه نحو قوله: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [الحديد: 18]، وجاز عطفه على الفعل نحو قوله: ﴿سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: 193]. فلما وقع بينهما ذكر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ بلفظ الفعل، و﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ بلفظ الاسم عملاً بالشبيهين أخر لفظ الاسم؛ لأن الواقع بعده اسمان هما: ("فالق"، "جاعل")[16]، والمتقدم اسم واحد بخلاف ما في آل عمران؛ لأن ما قبله وما بعده أفعال، فتأمل فيه فإنه من معجزات القرآن.

أما الفرق بين قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 117]، وفي قوله في سورة القلم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ [القلم: 7] بزيادة الباء ولفظ الماضي؛ لأن إثبات الباء هو الأصل كما في (القلم) وغيرها من السور؛ لأن المعنى لا يعمل في المفعول به، فنوى الباء وحيث حذفت أضمر فعل يعمل فيما بعده وخصت هذه السورة (الأنعام) بالحذف موافقة لقوله تعالى: ﴿اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124]. وعدل في (الأنعام) إلى لفظ المستقبل على قطع الإضافة لأن أكثر ما يستعمل لفظ (أفعل) مع الماضي نحو: أعلم من دب ودرج، وأحسن من قام وقعد، وأفضل من حج واعتمر، فتنبه فإنه من أسرار القرآن؛ لأنه لو قال: أعلم من ضل بدون الباء مع الماضي لكان المعنى: أعلم الضالين[17].

▩ **ويكون الائتلاف بين الألفاظ على صورة أخرى وهي في السياق** نحو قوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ [يس: 37– 39].

فقوله: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ**﴾ ليس تقديم المفعول على الفعل من باب الاختصاص وإنما من باب مراعاة نظم الكلام، فإنه قال: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ**﴾ ثم قال: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾، فاقتضى حسن النظم أن يقول: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ**﴾، ليكون الجميع على نسق واحد في النظم، ولو قال: وقدرنا القمر منازل لما كان بتلك الصورة الحسنة[18]. فالنسق الواحد هو: الليل نسلخ... والشمس تجري... والقمر قدرناه...، فالجمل كلها إسمية مبدوءة بالألف واللام. وعلى هذه الصورة ورد قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ**﴾ [الحجر: 35] بالألف واللام، وفي سورة ص: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي**﴾ [ص: 78] بالإضافة؛ لأن الكلام في سورة الحجر جرى على الجنس من أول القصة في قوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ**﴾ [الحجر: 26]، ﴿**وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ**﴾ [الحجر: 27]، ﴿**فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ**﴾ [الحجر: 30] كذلك ﴿**عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ**﴾. فالألفاظ: الإنسان... الجان... الملائكة... اللعنة...، أسماء أجناس مبدوءة بالألف واللام، فكانت على نسق واحد.

أما في سورة ص: فتقدم: ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص: 75]، ﴿**عَلَيْكَ لَعْنَتِي**﴾ بالإضافة في الجملتين فحسن التآلف.

▩ **ومن دلائل إعجاز القرآن في أسلوبه** أنه لا يختص بآية في مكان واحد وإنما يتسع ليشمل هذا اللفظ المناسب سورة كاملة أو أكثر. ففي سورة العنكبوت يقول تعالى: ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [العنكبوت: 56– 57]، وقال في سورة الزمر: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: 10]. في العنكبوت قال: (يا عبادي–

أرضي)، وفي الزمر: (قل يا عباد- أرض الله). فالذي حسن إظهار الياء في (يا عبادي) قوله: إن أرضي، فأضاف الأرض إلى الياء. وإن ضمائر المتكلم في آية العنكبوت أكثر مما في آية الزمر فليس في آية الزمر غير ضمير محذوف دلت عليه الكسرة في قوله: (يا عبادِ). في حين إن في آية العنكبوت خمسة ضمائر للمتكلم المعظم نفسه، وهي ضمير المتكلم في (عبادي) والضمير في (أرضي) وضمير (إياي)، والضمير الذي دلت عليه الكسرة في (فاعبدون) والضمير نفسه في (إلينا)[19]، فحسن إبراز الضمير في آية العنكبوت دون آية الزمر. ثم أن سورة الزمر تكاد تكون مبنية على ضمير الغيبة، وعلى الالتفات من المتكلم إلى الغيبة بخلاف سورة العنكبوت، فإنها مبنية على ذكر النفس، فإنه بعد أن قال في الزمر: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾ [الزمر: 2] التفت إلى الغيبة فقال: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: 2]، ولم يقل (فاعبدوني). ثم سار الكلام على هذا النسق فقال: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء... إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ... خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... يُكَوِّرُ اللَّيْلَ... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ... أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۞ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا... وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ... ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم...**﴾ [الزمر: 3- 7]. ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ**﴾ فقال: (دعا ربه) ولم يقل (دعانا) كما قال في موطن آخر. ثم انظر التناسب اللطيف بين قوله (دعا ربه) وقوله: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ**﴾ بذكر الرب بل أنه حتى في قوله: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾، ولم يقل: لا تقنطوا من رحمتي إني أغفر الذنوب جميعاً إنني أنا الغفور الرحيم. وقال في الآية التي نحن بشأنها: (اتقوا ربكم... وأرض الله واسعة) في حين قال في العنكبوت: ﴿**إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾، فبني الكلام في الزمر على الغيبة، وجعل الكلام مبنياً على ضمير المتكلم وإظهار النفس.

أما إظهار المتكلم في سورة العنكبوت مبني على المتكلم، فقد قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ [العنكبوت: 3]، ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا**﴾ [العنكبوت: 4]، ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [العنكبوت: 7]، ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [العنكبوت: 8]، ﴿**لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ**﴾ [العنكبوت: 9]، ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً**﴾ [العنكبوت: 14]، ﴿**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [العنكبوت: 15]، ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**﴾ [العنكبوت: 27]، ويستمر إلى أن يقول: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾ [العنكبوت: 51]، ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [العنكبوت: 56]، ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً**﴾ [العنكبوت: 58]، ﴿**لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ**﴾ [العنكبوت: 66]، ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً**﴾ [العنكبوت: 67]، وختم السورة بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: 79].

فسورة الزمر مبنية على الغيبة، والعنكبوت على المتكلم، فناسب ذكر ضمير المتكلم وإبرازه في العنكبوت دون الزمر[20].

وتتبعت سورة غافر بعد الزمر فوجدت الأسلوب نفسه، فكما بدأت سورة الزمر بأسلوب الغيبة بقوله تعالى: ﴿**تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الزمر: 1]، وختمت بقوله: ﴿**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الزمر: 75]. بدأت سورة غافر بأسلوب الغيبة أيضاً بقوله: ﴿**حم ۞ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۞ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [غافر: 1– 4]، وتناسب نهاية الآية في سورة غافر: ﴿**فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ**﴾، مع نهاية آية الاختتام لسورة غافر نفسها بقوله: ﴿**وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ**﴾؛ فقد ختم الآية الأولى بقوله: (المبطلون) وختم الثانية بقوله: (الكافرون) وذلك لأن كل كلمة مناسبة للسياق الذي

وردت فيه، فالأولى وردت في سياق الحق ونقيض الحق الباطل والثانية في سياق الإيمان ونقيض الإيمان الكفر، قال تعالى في الآية الأولى: ﴿**فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ**﴾، وقال في الثانية: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**﴾ [غافر: 84- 85].

▩ **وهذا التناسب في فواتح السور وخواتمها** منه ما يكون ظاهراً في الألفاظ ومنه ما تتصل المناسبة بينهما في المعنى. أما ما يتناسب في الألفاظ فمنه ما عليه سورة المؤمنون: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المؤمنون: 1]، أورد في خاتمتها: ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المؤمنون: 117]، وسورة ص بدأها بالذكر: ﴿**ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾ [ص: 1]، وختمها بقوله: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [ص: 87]، وفي سورة (ن) بدأها بقوله: ﴿**مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**﴾ [القلم: 2]، وختمها بقوله: ﴿**وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾ [القلم: 51]، وختمت سورة الإسراء بالتحميد: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً**﴾ [الإسراء: 111]، وسورة الكهف بعدها بدأها بالتحميد أيضاً: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ [الكهف: 1]، ولما ختمت سورة الطور بقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**﴾ [الطور: 49]، افتتحت التي بعدها ﴿**وَالنَّجْمِ**﴾ [النجم: 1]، وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح: ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الحديد: 1]، فإنه مناسب لسورة الواقعة بالأمر به في خاتمتها: ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾ [الواقعة: 96]، وسورة القصص بدأت بأمر موسى ونصرته وقوله: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ**﴾ [القصص: 17]، وخروجه من وطنه، وختمت بأمر النبي ﷺ بألا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته عن إخراجه من مكة: ﴿**وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ**﴾ [القصص: 86].

▩ **ويظهر التناسب في ألفاظ سورة كاملة**[21] نحو ما في سورة مريم فإن هذه السورة تبدأ بالرحمة: ﴿**كهيعص ۞ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**﴾ [مريم: 1- 2]، والسورة كلها تفيض بالرحمة لما فيها من موجبات الرّحمة في مواقف الخوف والقلق

نحو قوله تعالى: ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً**﴾ [مريم: 5]، وإن ما يقابل الخوف والقلق هو الرحمة، ومريم استعاذت بالرحمن: ﴿**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً**﴾ [مريم: 18]، ولم تقل (أعوذ بالله) كما فعل موسى حين قال لقومه: ﴿**عُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [البقرة: 67]، وذلك لأن السياق في البقرة سياق عقوبة ومسخ وتنكيل، ولا تناسب الرحمة ذلك، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۞ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: 65-66]. هذا علاوة على أن لفظ (الرحمن) تكرر في مريم ست عشرة مرة ولفظ (الله) تكرر في البقرة مائتين واثنتين وثمانين مرة، ولم يرد لفظ (الرحمن) في البقرة إلا مرة واحدة، وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: 163]، وفي مريم: ﴿**وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا**﴾ [مريم: 21]، وقالت: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً**﴾ [مريم: 26]. وقال إبراهيم لأبيه في سورة مريم: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً**﴾ [مريم: 44]، ثم قال عبارة كلها رحمة: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً**﴾ [مريم: 45]. وذكر رحمته لإسحاق ويعقوب فقال: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً**﴾ [مريم: 50]. وذكر رحمته لموسى فقال: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً**﴾ [مريم: 53]، وقال في وصف من أنعم عليه من خلقه: ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً**﴾ [مريم: 58]. وذكر جنته التي وعد عباده المتقين فقال: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ**﴾ [مريم: 61]. ثم ذكر أنه ليحضرن العتاة حول جهنم فقال: ﴿**ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً**﴾ [مريم: 69]، وهدد من كان في الضلالة وتوعده قائلاً: ﴿**قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً**﴾ [مريم: 75]، وذكر الذي كفر وزعم أنه سيؤتى مالاً وولداً فقال فيه: ﴿**أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً**﴾ [مريم: 78]. وذكر المتقين فقال: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ [مريم: 85]. وذكر من يظن منهم أنهم يملكون الشفاعة فقال: ﴿**لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً**﴾ [مريم: 87]، ثم ذكر من

زعم أن الله اتخذ ولداً فقال: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً**﴾ [مريم: 88]، ورد عليهم بقوله: ﴿**أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً ۞ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً ۞ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً**﴾ [مريم: 91- 93]. ويتخذ الدكتور فاضل السامرائي من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً**﴾ [مريم: 96]، خاتمة لهذه السورة لورود لفظة (الرحمن) في المطلع والمقطع، وأن السورة تستأثر بهذه اللفظة فلا تدانيها في ذلك سورة من السور[22]، وهي مناسبة لطيفة إلا أن سياق السورة يبدو فيه أن الخاتمة غير ذلك، إذ يظهر من مجمل السورة أن قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ...**﴾ [مريم: 97] إلى قوله تعالى: ﴿**أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً**﴾ [مريم: 98]- وهما الآيتان الأخيرتان من السورة- هما الخاتمة، ذلك أن الاختتام بالتيسير- الذي هو رحمة- مناسب لما تعرض له الأنبياء في السورة كلها من مواقف صعبة ثم تيسير الأمر عليهم فيسر سبحانه لزكريا عليه السلام إذ رزقه بيحيى بعد أن كان خائفاً من الموالي أن يبدلوا دينه بعد موته[23]. ويسر على مريم عليها السلام، إذ برأ وليدها من ظنون القوم ويسر على إبراهيم إذ اعتزل من يعبد غير الله وأيده بإسحاق ويعقوب يدعوان بدعوته، ويسر على موسى عليه السلام وكلمه وأيده بهارون عليه السلام، أما خاتم الأنبياء محمد ﷺ فيسر الله تعالى له رسالته بهذا الكتاب العزيز البليغ وهو قوله: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ**﴾ وقد تناسب هذا القول مع أول السورة ﴿**ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ**﴾ وبذلك تكون هذه الخاتمة خلاصة لجو الرحمة والتيسير[24].

وإذا ما تتبعنا سورة مريم كلها وجدنا أنها جرت بين وعد يعقبه وعيد، ثم تيسير يأتي بعده تهديد، فآياتها الأولى من (1- 36) فيها تيسير وبشارة ثم يأتي بعد ذلك تهديد ونذارة في قوله تعالى: ﴿**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [مريم: 37- 39]، ثم يتخلص بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾ [مريم: 40] لما فيه من تعريض وتهديد إلى بشارة في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ**

فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم: 41] ثم ذكر إسحاق ويعقوب- عليهما السلام- متخلصاً إليهما من قصة إبراهيم على أحسن تخلص بقوله: ﴿**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً**﴾ [مريم: 49] ثم ذكر موسى وهارون وإسماعيل وإدريس- عليهم السلام- ذاكراً التيسير والبشارة لهم بقوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ**﴾ [مريم: 58] ولما أراد سبحانه أن يشمل الجميع بالتيسير فقال: ﴿**وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا**﴾ [مريم: 58] على طريقة التكميل والتتميم في البلاغة[25] ثم ذكر شكرهم لنعم الله عليهم بقوله: ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً**﴾ [مريم: 58] ثم أعقب ذلك بالوعيد بقوله: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**﴾ [مريم: 59] ثم تخلص بطريقة الاستثناء من الإنذار إلى التيسير والبشارة بقوله: ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً...**﴾ [مريم: 60]، ثم الوعيد بقوله: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ**﴾ [مريم: 68]، وإذ يكرر القرآن (ثم) في قوله: ﴿**ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ**﴾ [مريم: 68] وقوله: ﴿**ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً**﴾ [مريم: 70] يتخلص بـ(ثم) نفسها إلى التيسير بعد التهديد والوعيد بقوله: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا...**﴾ [مريم: 72]، ثم الوعيد بقوله: ﴿**وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً**﴾ [مريم: 72]، ولما ذكر تمادي الظالمين في الضلالة بقوله: ﴿**قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً**﴾ [مريم: 75]، أعقب ذلك الوعيد ببشارة المهتدين بقوله: ﴿**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى**﴾ [مريم: 76]، فناسب مد الظالمين واستمرارهم في الضلال زيادة المهتدين هدىً، والمعنى على (الاحتباك)[26]، أي: فليمدد له الرحمن مداً فيزدد ضلالاً، ويمد للذين اهتدوا فيزدادوا هدىً، ثم الوعيد بقوله: ﴿**فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً**﴾ [مريم: 84]، ثم التيسير والبشارة بقوله: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ [مريم: 85]، ثم الوعيد والتهديد بقوله: ﴿**وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً**﴾ [مريم: 86]، وقوله: ﴿**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً**﴾ [مريم: 95] (إبطال ما لأجله قالوا اتخذ ولداً؛ لأنهم زعموا ذلك موجب عبادتهم الملائكة والجن ليكونوا شفعاء عند الله، فأيأسهم الله من ذلك بأن

كل واحد يأتي يوم القيامة مفرداً لا نصير له)[27]، ثم البشارة بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً**﴾ [مريم: 96]، ثم ختام السورة بقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً**﴾ [مريم: 97]، ذكر ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ**﴾ أنه (إيذان بانتهاء السورة، فإن شأن الإتيان بكلام جامع بعد أفنان الحديث أن يؤذن بأن المتكلم سيطوي بساطه، وذلك شأن التذييلات والخواتم، وهي ما يؤذن بانتهاء الكلام، فلما احتوت السورة على عبر وقصص وبشارات ونذر جاء هنا التنويه بالقرآن وبيان بعض ما في تنزيله من الحكم. وذكر من معاني الفاء في قوله: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ**﴾ أنها الفاء الفصيحة تؤذن بكلام مقدر يدل عليه المذكور، كأنه قيل: بلغ ما أنزلنا إليك ولو كره المشركون ما فيه من إبطاء دينهم وإنذارهم لسوء العاقبة، فما أنزلناه إليك إلا للبشارة والنذارة[28] ويدل على ذلك ما جاء في فاتحة سورة طه بعد هذه السورة في قوله تعالى: ﴿**طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى**﴾ [طه: 1-3]، أي: يُذكر من هو مستعد للتأمل والنظر في صحة الدين، يقول ابن عاشور عن هذه الفاتحة بأنها: (تمهيد لما يرد من أمر الرسول ﷺ بالاطلاع بأمر التبليغ)[29] فناسبت خاتمة السورة مريم فاتحة سورة طه. وفي هذا إشارة إلى أن الآيتين الأخيرتين من سورة مريم هما موضع العلاقة والربط بين آيات السورة نفسها، ثم ارتباطها لما بعدها فلما بدأت سورة طه بالتيسير على الرسول ﷺ لنشر الدعوة ختمت بالوعيد في قوله: ﴿**قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى**﴾ [طه: 135] ووجه الختم بها لما فيها من وعد ووعيد[30] وذكر السيوطي: أنه لما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى**﴾ [طه: 129] أشار في التي بعدها ﴿**قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا**﴾ إلى قرب الأجل المسمى[31] ثم قال في مطلع السورة بعدها: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء: 1] يقول الغماري: (فتحت هذه السورة بالحديث عن قرب الساعة ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**﴾ وختمت بالحديث عنه ﴿**وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ**﴾ [الأنبياء: 97] فتناسب المطلع والمقطع)[32].

فتأمل الألفاظ كيف تآلفت فأشاعت جو الوحدة بين مناسبات الآيات والسور، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً**﴾ [مريم: 98] فهي (جملة معطوفة على جملة: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ**﴾ باعتبار ما تضمنته من بشارة المؤمنين ونذارة المعاندين؛ لأن في التعريض بالوعيد لهم نذارة لهم وبشارة للمؤمنين باقتراب إراحتهم من ضرهم)[33]، والاستفهام في قوله ﴿**هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم**﴾ إنكاري، والخطاب للنبي ﷺ تبعاً لقوله: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ**﴾ أي: ما تحس، أي ما تشعر بأحد منهم. والركز: الصوت الخفي وقيل هو الصوت الذي ليس بالشديد، وقول الفراء: الركز: صوت الإنسان تسمعه من بعيد[34]. وهذا الكلام كناية عن اضمحلال المعاندين، كنى باضمحلال لوازم الوجود عن اضمحلال وجودهم، لذلك تضمن التعريض بالمعاندين بشارة المؤمنين على طريقة دمج معنى البشارة والنذارة في كلام وجيز. فجاءت الخاتمة وهي بشارة بقوله: ﴿**لِتُبَشِّرَ بِهِ...**﴾ ثم نذارة بقوله: ﴿**وَتُنذِرَ بِهِ...**﴾ على ما جاءت عليه السورة كلها من وعد يعقبه وعيد، والله أعلم.

▩ ولا بد- ونحن بشأن علاقات فواتح السور وخواتمها- من الوقوف على الحروف التي بدأت بها بعض السور وبيان علاقاتها بمضمون الكلام.

فإن للحروف المقطعة في أوائل السور لها مناسبات مع ألفاظ سورها، فالسورة التي اشتملت على حرف مفرد في مفتتحها، نحو سورة (ق)، مبنية على ذلك الحرف، أي: مبنية على الكلمات التي تضم معها حرف القاف بكثرة ظاهرة: ﴿**قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**﴾ [ق: 1]، و﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ**﴾ [ق: 15]، وقوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ**﴾ [ق: 16]. وتكرير القول ومراجعته مراراً، وقوله: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ**﴾ [ق: 16]، وتلقي الملكين قول العبد: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾ [ق: 17]، فانظر تتالي القافات في هذه الجملة، ونحو: ذكر الرقيب، وذكر السائق، والقرين، والإلقاء في جهنم، والتقديم بالوعيد، وذكر المتقين، وإلقاء الرواسي، وبسوق النخيل، والرزق، وذكر القوم وحقوق الوعيد...[35]، وقد جاءت القافات مكررة في

عموم السورة دون خدش أي جانب من الفصاحة، بل زاد ذلك السورة إجلالاً ظاهراً. ويرى ابن قيم: إن معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر، والعلو والانفتاح[36] ليتناسب ذلك مع ما في السورة من أدلة وبراهين قاطعة قوية، رداً على تعجب الكفار من أخبار القرآن بإعادة الخلق، وكذلك ما في سورة (ص) من الخصومات المتعددة، فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ وقولهم: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً**﴾ [ص: 5]، إلى آخر كلامهم. ثم اقتصاص الخصمين عند داود عليه السلام ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم، وهو الدرجات والكفارات، ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم، ثم خصامه ثانية في شأن بني آدم، وحلفه ليغوينهم أجمعين، إلا أهل الإخلاص منهم[37] فسورة (ص) كثر فيها الخصام والتخاصم.

جاء في تفسير الطبري: (اختلف أهل التأويل في معنى قوله "ص" فقال بعضهم: هو من المصادات، من صاديت فلاناً، وهو أمر من ذلك، كان معناه: صاد بعلمك القرآن، أي عارضه به، ومن قال هذا تأويله فإنه يقرؤه بكسر الدال، لأنه أمره، وكذلك روي عن الحسن... وقال آخرون: هي حرف هجاء... وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به... وقال آخرون: معنى ذلك صدق الله)[38]. فهذه المعاني تدل على أن هنالك معانيَ أخرى تخرج عن حصر الأحرف المقطعة في حروف الهجاء، جاءت على صورة أسماء أو أفعال أو صفات، أو أي صورة موحية بمعان، فكان قوم من المفسرين يفسرون بعض هذه الحروف فيقولون: (طه)، و(يس) اسمان من أسماء النبي ﷺ وقيل: صاد: بكسر الدال، من المصاداة وهي المعارضة[39] وقيل: صاد: حادث القرآن، يعني: أنظر فيه[40]. وإذا ما تأملت مفتتح سورة (الرعد) قوله تعالى: ﴿**المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد: 1]، والسور الخمس المكتنفة لهذه السورة، وهي: سورة يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر. وقد –وافتتحت هذه السور بـ(الر)– وجدت إن راء توحي بمعنى: الرؤية في مفتتحات هذه السور المذكورة: يونس: (الر...)، وهود: (الر...)، ويوسف: (الر...)، وإبراهيم: (الر...)، والحجر: (الر...)، والرعد: (الر...). فما صلة (الرؤية) بـ(راء) في هذه السور؟ إن راء عند

العرب هي: رأى من رؤية[41] وتشتمل على معنى: العلم (أي: الرؤية القلبية)، والمعاينة[42]، والنظر، والخبر، والاعتبار[43]، ومعنى سادس للرؤية من (رأى) في النوم[44]. وقد اشتملت السور الست على المعاني المذكورة، وأن الرؤية العامة شائعة في هذه السور كلها مع اختصاص كل سورة بغلبة نوع لا يغلب على الأخرى، فطابع (راء) العام يوجد في سورة يوسف عليه السلام من حيث أنه ذكر سلب البصر وعودته لدى يعقوب ﴿**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ**﴾ [يوسف: 84]، ﴿**اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً**﴾ [يوسف: 93]، ﴿**فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً**﴾ [يوسف: 96]. وهو حديث عن رؤية ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ**﴾ [يوسف: 4]، ودخل يوسف السجن لرؤية: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾ [يوسف: 35]، وأنقذته من امرأة العزيز رؤية: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ [يوسف: 24]، وأظهرت براءته رؤية: ﴿**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ**﴾ [يوسف: 28]، وكان الحكم عليها برؤية: ﴿**إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [يوسف: 30]، وكان تقطيع النسوة لأيديهن لرؤية: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾ [يوسف: 31]، ومناقشات يوسف مع أخوته يعول فيها على الرؤية: ﴿**أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**﴾ [يوسف: 59]، ﴿**إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف: 78]، وتأويل الأحلام وتفسير المنام مما عرف به يوسف ونيطت به معجزته: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾ [يوسف: 101]، وما التأويل سوى لون من ألوان (رأى) في لون من ألوان (راء). لكن الرؤية المناسبة غلبت على هذه السورة منفردة بها شيوعاً عن غيرها من السور، كذلك فإن طابع (راء) العام يعم السورة كلها، ثم ها هي ذي نهاية القصة بيان (لرؤية إخبارية) للرسول ﷺ: ﴿**وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ**﴾ [يوسف: 102]. فطابع (راء) العام يعم السورة كلها، لكن الرؤية المنامية غلبت على هذه السورة فتفردت بها عن غيرها من السور[45]: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ [يوسف: 4].، ﴿**لاَ**

تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾ [يوسف: 5]، ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: 43]، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: 100]، فهو في مكان يرى ويُرى. وفيها الاعتبار: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾ [يوسف: 109]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ [يوسف: 111]، أما سورة يونس المفتتحة بـ(الر) أيضاً، فيشير الغرناطي إلى أن الطابع العام لها هو (الاعتبار) فـ(آيها كلها آي اعتبار)[46]، مع في سورة يونس من رؤية بصرية: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ﴾ [يونس: 31]، ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: 43]، ﴿وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ﴾ [يونس: 54]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ [يونس: 67]، وفيها نظر: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 14]، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 39]، ﴿وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: 43]، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [يونس: 73]، ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101]، ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [يونس: 46]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً﴾ [يونس: 50]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾ [يونس: 59]، ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: 88]، ﴿وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: 97]، وفيه (الانتظار): ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: 20]، ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: 102]. وفيها النجاة والتنجية: وهي إظهار الحق، والتنجية جعل الأمر على نجوة مرتفعة ليرى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: 92]، أي: نلقيك على نجوة، أي: ارتفاع ليصير علماً على أنه قد غرق، وآية: أي علامة[47]، فالتنجية سبب للرؤية[48]. وفيها

(رؤية إخبارية): ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [يونس: 2]، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس: 64]، ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 87]. والتبشير: الإخبار بما يظهر أثره على البشرة[49]. وهذه الرؤية الإخبارية نجدها في سورة هود المفتتحة بـ(الر) كذلك، واختصاراً، أنظر الآيات في هذه السور[50]. وفيها الانتظار: ﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود: 122]، وفيها الرؤية: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: 27]، ﴿إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾ [هود: 29]، ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود: 70]، ﴿إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ [هود: 84]. وفيها بصر: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: 20]، ﴿وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112]، وفيها (أرأيتم): ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ [هود: 28]، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: 63]، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً﴾ [هود: 88]. فهذه الألفاظ تتناسب مع مطلع السور لمفتتحة بـ(الر)– والله أعلم–.

وفي سورة إبراهيم المفتتحة بـ(الر) كذلك نجد: (الم تر) مكررا في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحقِّ﴾ [إبراهيم: 19]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ [إبراهيم: 24]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾ [إبراهيم: 28]. وهذا نوع من الرؤية. وفيها رؤية معاينة: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: 49]. وفيها رؤية بصرية: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 42]، وفي سورة الحجر تطالعنا الرؤية الإخبارية في ألفاظ بشر، والتبشير نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً﴾ [الحجر: 28]، ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ﴾ [الحجر: 33]. وسمي بشراً لظهور بشرته وهو جلده، وأبشرت الأرض: أخرجت نباتها، وتباشر الصبح: أول ما يبدو من النور، وخص القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر[51]. ﴿قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: 53]، ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن

﴿مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: 54]، ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 55]. فالآيات: 53- 55، تكررت فيها اللفظة لإعجاز يعم السورة ويخص الرؤية، رؤية أثر البشارة على الوجه. وفيها التنجية: ﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 59]. وفيها رؤية بصرية: ﴿لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ [الحجر: 15]، ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: 16]، ﴿لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 75]. والتوسم: النظر إلى السمة، أي: إلى العلامة الدالة، ومعناها الفراسة[52].

وسورة الرعد المفتتحة بـ﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 1]، ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الرعد: 40]، ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ [الرعد: 12]، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [الرعد: 16]، وفيها الرؤية الاعتبارية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: 41]. ثم إن سورة الرعد خصت بزيادة الميم (المر) على مطالع السور الخمسة المكتنفة لهذه السورة- كما ذكرنا- وهذه الزيادة واضحة في ألفاظ هذه السورة، فإن السورتين المكتنفتين لهذه السورة وهما: يوسف وإبراهيم لم يرد فيهما من الكلم المجتمع في تركيبها الألف واللام والميم والراء ما ورد في سورة الرعد، ففي سورة يوسف لفظتان، هما: (الأمر) في قوله: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: 41]، ولفظ (المجرمين) في قوله: ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يوسف: 110]. وفي سورة إبراهيم خمس كلمات: ﴿لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ [إبراهيم: 22]، وقوله: ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [إبراهيم: 32]، وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [إبراهيم: 33]، ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37]، وقوله: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ [إبراهيم: 49]. وأما سورة الرعد فقد ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الرعد: 2]، ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ [الرعد: 2]، ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الرعد: 3]، ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ﴾ [الرعد: 8]، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: 30]، ﴿فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً﴾ [الرعد: 42]. فهذه ست كلمات ناسبت زيادة الميم في مفتتحها، والله أعلم. ومثل هذه الزيادة نجدها في (طسم) بزيادة الميم على غيرها مما بدأ بالطاء، فإن كل سورة تبدأ بالطاء ترد فيها قصة موسى في أوائلها مفصلة قبل سائر القصص، مثل (طه) و(طس) في النمل و(طسم) في القصص، و(طسم) في الشعراء، ثم إن ما يبدأ

بـــ(طسم) تكون قصة موسى فيها أطول مما يبدأ بـــ(طس)، فكأن زيادة الميم إشـــعار بزيادة القصة[53]. فبعد المفتتح (طه) جاء ذكره ﷺ: ﴿**طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُـرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ [طه: 1–2]، ثم تبع بقصة موسى ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَـى**﴾ [طـه: 9]، ويستمر تفصيل هذه القصة إلى الآية [97]. وبعد: (طسم) الشعراء جاء قوله تعـالى: ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء: 3]، ثم قصة موسى: ﴿**وَإِذْ نَـادَى رَبُّكَ مُوسَى**﴾ [الشعراء: 10]، ويستمر في تفصيل القصة من الآية [10] إلـى الآيـة [89]. وبعد (طس)– النمل– يأتي قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّـدُنْ حَكِـيمٍ عَلِيمٍ**﴾ [النمل: 6]، ثم قصة موسى: ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ**﴾ [النمل: 7]، من هذه الآية [7] إلى الآية [14] من غير تفصيل، وبعد (طسم)– القصص– جـاء قولـه تعـالى: ﴿**نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى**﴾ [القصص: 3]، ثم قصة موسـى: ﴿**وَأَوْحَيْنَـا إِلَـى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾ [القصص: 7]، ويستمر تفصيل القصة إلى الآية: [48]. فـانظر كيف أنه عندما زيد ميم في (طسم) فصل في القصة أكثر من ذكرها بعد (طس).

أما علاقة (طا) بذلك، فيشير بعض اللغويين إلى (طا) بأنها: مقتطعـة مـن الفعل (طاء) ومعناه: طاء في الأرض يطأ، بمعنى: ذهب أو بعد في ذهابه– وطـاء– يطوء: ذهب وجاء[54]. جاء في تفسير القرطبي من جملة ما قيل في تفسير (طـه) أن معنى (طه) طاء الأرض، وذلك أن النبي ﷺ كان يتحمل من مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورمان، ويحتاج إلى الترويح بين قدميه، أي لا تتعب حتى تحتاج إلى الترويح، وإن أصل (طه) طأ فقلب همزته هاء كما قلبت ألفاً في (يطا) فبني هذا الأمر والهـاء للسكت لذلك قيل في (طه) أي طأ الأرض أو اطمئن، فيكون فعل أمر[55]. وإن هـذه السور الأربعة المبدوءة بالطاء نزلت على رسـول الله ﷺ فـي مكـة ودارت حـول الإسراف في الحزن والتوغل في الإشفاق[56] وهذه المعاني هي عينها التي أشار إليها المعجم في تفسير طاء: بمعنى: ذهب أو أبعد في ذهابه. ففي قوله تعالى: ﴿**طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ نجد لفت الرسول ﷺ عن التأسف لكفر قريش ونهاه ربـه عن أن يبعد ذهابه هذا المذهب.

وفي سورة الشعراء: يأمر الله سبحانه رسوله بأن يشفق على نفسه فلا تذهب حسرات على هؤلاء القوم: ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء: 3] ومعنى باخع نفسك، أي: قاتلها غماً من أجل (ألا يكونوا) أهل مكة (مؤمنين).

وسورة النمل تضمن بعد الحديث عن موسى لفرعون نهياً للرسول ﷺ عن الحزن على تكذيبهم وإعراضهم: ﴿**وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ [النمل: 70].

وفي سورة القصص: نهى الله سبحانه وتعالى أم موسى عن الحزن لفراق موسى، وتكرار هذا الحزن، ثم كلام موجه للرسول ﷺ: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص: 56]. والإسراف في الذهاب في شيء ما نجده عند فرعون بادعائه الإلوهية لنفسه، والإسراف في قتل قومه[57]. فالذهاب في الحزن هذا المذهب، والإيغال في الإشفاق، والإسراف، مما اتحدت فيه معاني الآيات مع فواتح السور في براعة استهلال، وكلام معجز أي إعجاز، من لدن حكيم عليم.

وأكتفي بما ذكرت مما افتتحت به السور بهذه الحروف- تجنباً للإطالة التي لا تسمح بها مقتضيات النشر، والذي ذكرت هو براهين على أن إيداع هذه الحروف في أوائل بعض السور أمر عجيب أراده الله سبحانه قاصداً ذكره فمن أحسن تدبر القرآن وجد عجائب لا تنقضي، وعرف أن اختيار هذه الحروف كان لأمور جليلة، منها الذي ذكرت، ومنها الإعلام بالحروف التي يتركب منها الكلام فهي- أي الحروف المتقطعة- أربعة عشر حرفاً وهي نصف الحروف في تسع وعشرين سورة على عدد الحروف، يقول الزمخشري: (واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله- عز سلطانه- في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم: أربعة عشر سواء، وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون، في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم. ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف. بيان ذلك أن فيها: من المهموسة نصفها: الصاد والكاف والهاء والسين والحاء، ومن المجهورة نصفها: الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف

والياء والنون، ومن الشديدة نصفها: الألف والكاف والطاء والقاف، ومن الرخوة نصفها: اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون، ومن المستعلية نصفها: القاف والصاد والطاء، ومن المنخفضة نصفها: الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون، ومن حروف القلقلة نصفها: القاف والطاء.

▒ ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها مكثورة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقّت في كل شيء حكمته. وقد علمت أن معظم الشيء وجلّه ينزل منزلة كلّه، وهو المطابق للطائف التأويل واختصاراتها)[58]، فهذه الحروف المذكورة أكثر دوراناً مما بقي وألطف من المتروك. ومما يدل على أنه تعالى تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعاً في تراكيب الكلم أن الألف واللام لما تكاثر وقوعها فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين، وهي فواتح: سورة البقرة، وآل عمران، والروم، والعنكبوت، ولقمان، والسجدة، والأعراف، ويونس، وإبراهيم، وهود، ويوسف، والحجر. أما لماذا اختلفت أعداد حروفها فوردت (ص وق ون) على حرف مفرد، و(طه وطس وحم) على حرفين، و(الم، والر وطسم) على ثلاثة أحرف، و(المص والمر) على أربعة أحرف، و(كهيعص، وحم عسق) على خمسة أحرف؟ ذلك لأن تراكيب الكلام على هذا النمط، وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك، ثم تأمل:

- إن هذه الحروف المختارة مشتملة على أنصاف أجناس طبائع الحروف.
- وأن هذا النصف المأخوذ ألطف من المتروك.
- وأن القرآن كرر من المأخوذ ما هو أيسر على الألسنة، كالألف واللام.
- واستخدم من الثقيل القليل، كالقلقلة، ومن الخفيف الكثير، كالذلاقة.
- وغير ذلك[59].

▒ ▒ ثم أيها القارئ الكريم، إذا رأيت أن الشوق يحدو بك إلى معرفة بعض أسرار بلاغة القرآن فاعلم أنك قادم إلى خير كثير. وسيظهر لك من تلك الأسرار ما لم يكن في الحسبان، فقد كنت أتساءل كثيراً وأنا أسمع نظم القرآن من أي موضع من سوره

أو آياته فأقول: ما هذا الأسلوب العام الذي يجري فيه هذا الكلام الرباني؟ ولماذا نسمع كثيراً من ألفاظه على صوره كأننا نعرف معانيها فإذا خرجت هذه اللفظة أو تلك عن مكانها احتيج إلى تفسيرها وبيانها؟ وهل أن السامع لا يسأل عن ذلك لأن هذه الألفاظ تآلفت في سياقها فلم تعد تستوقفه؟ وهل أن أصوات الحروف: همسها وجهرها وترقيقها وتفخيمها وغير ذلك من الصفات سبب آخر لهذا الائتلاف؟ فضلاً عن المعاني الجليلة المقصودة في نظم القرآن. هذه الأسئلة وغيرها كانت تحتشد في نفسي، سألت الله أن يلهمني الرشد والسداد والتوكل عليه سبحانه، ولم يزل كثير مما سألت قائماً، ومنه الفتح والعون.

ثم- ما أبرأ إليك- أيها القارئ الكريم- بعد من العثرة والزلة، وما أستغني منك- إن وقفت على شيء- عن التنبيه والدلالة، لأرجع إلى الصواب عن الغلط، فإن هذا الفن الذي أنا غامرت فيه، فن لطيف خفي، وابن آدم إلى العجز والضعف والعجلة... والله هو حسبي وهو يهدي إلى سواء السبيل.

هوامش البحث

[1] الطراز: 3/ 146.

[2] خزانة الأدب: 438.

[3] ديوان البحتري، ت: الصيرفي، مطبعة مصر: 63، من قصيدة له مطلعها:

أبكاءٌ في الدارِ بعد الدارِ وسُلُوّاً بزينبٍ عن نَوارِ

[4] ينظر: المثل السائر: 2/ 36، وخزانة الأدب: 438.

[5] ينظر: أنوار الربيع: 6/ 234.

[6] الكشاف: 4/ 318.

[7] معترك الأقران: 1/ 295.

[8] البرهان في علوم القرآن: 3/ 432.

[9] أخرجه البزار والحاكم والبيهقي وأبو نعيم والقضاعي عن جابر مرفوعاً. ينظر: المقاصد الحسنة: 391.

[10] أسرار التكرار: 123.

[11] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: 266.

[12] ينظر: أسرار التكرار: 118.

[13] الجاثية: 33.

[14] ينظر: ملاك التأويل: 2/ 738.

[15] أسرار التكرار: 81- 82.

[16] قرأ الكوفيون: (وجعل) على وزن (فعل): (اللَّيْلَ سَكَناً) بنصب اللام، والباقون (وجاعل) على وزن (فاعل) وجر اللام من (الليل). ينظر: التيسير في القراءات السبعة للداني: 105.

[17] ينظر: أسرار التكرار: 71- 75.

[18] المثل السائر: 2/ 41.

[19] ينظر: بلاغة الكلمة: 32.

[20] ينظر: م.ن: 32.

[21] ينظر: التعبير القرآني: 221.

[22] ينظر: م.ن: 221.

[23] الموالي: الذين يلون في النسب كبني العم. ينظر: تفسير الجلالين: 403.

[24] ينظر: الأساليب البلاغية في خواتم السور القرآنية: 15.

[25] التكميل والتتميم: هو أن يأتي بالمعنى الذي بدأ به بجميع المعاني المتممة لصحته المكملة لجودته من غير أن يخل ببعضها ولا أن يغادر شيئاً منها. ينظر: المصطلحات البلاغية: 1/ 238.

[26] الاحتباك: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه. ينظر: المصطلحات البلاغية: 1/ 56.

[27] التحرير والتنوير: 8/ 174.

[28] ينظر: التحرير والتنوير: 8/ 175.

[29] التحرير والتنوير: 8/ 184.

[30] ينظر: بديع القرآن: 347.

[31] ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور: 67.

[32] جواهر البيان: 64.

[33] التحرير والتنوير: 8/ 177.

[34] ينظر: لسان العرب (رَكَزَ).

[35] ينظر: بدائع الفوائد: 3/ 173.

[36] ينظر: م، ن: 3/ 173.

[37] ينظر: م.ن: 3/ 174.

[38] جامع البيان: 23/ 74.

[39] تأويل مشكل القرآن: 238.

[40] الإتقان: 3/ 29.

[41] الجمهرة: 3/ 282.

[42] تأويل مشكل القرآن: 381.

[43] قاموس القرآن: 188.

[44] ينظر: براعة الاستهلال: 221.

[45] ينظر: م.ن: 221.

[46] ملاك التأويل: 1/ 609.

[47] مجاز القرآن: 1/ 281.

[48] ينظر: براعة الاستهلال: 219.

[49] فتح القدير: 1/ 14.

[50] هود، الآيات: 2، 71، 74، 69، 58، 66، 94، 116.

[51] معجم ألفاظ القرآن: 1/ 99، وينظر: ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم: 33.

[52] معترك الأقران: 2/ 506.

[53] ينظر: فتح الرحمن: 60، التعبير القرآني: 210.

[54] لسان العرب (طاء).

[55] ينظر: تفسير القرطبي: مج6/ 167.

[56] ينظر: م، ن: مج6/ 167، مج7/ 229.

[57] ينظر: براعة الاستهلال: 225.

[58] الكشاف: 1/ 31.

[59] ينظر: م.ن: 1/ 32، وينظر: الصورة السمعية ودلالتها البلاغية في القرآن الكريم: 206.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (ت911هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ط1، 1387هـ/ 1967م.
- الأساليب البلاغية في خواتم السور القرآنية، رسالة ماجستير، عباس حميد السامرائي، كلية التربية، جامعة الأنبار، 1996م.
- أسرار التكرار في القرآن الكريم، الكرماني، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار بو سلامة، تونس، ط1، 1983م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، للسيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت1120هـ)، ت: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، ط1، 1968م.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (ت654هـ)، ت: حنفي شرف، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1377هـ/ 1957م.
- براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور، د.محمد بدري عبد الجليل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1980م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت794هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي، دار عمان للنشر، عمان- الأردن، ط1، 1420هـ/ 1999م.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت276هـ)، ت: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العلمية، مصر، مطبعة البابي الحلبي.
- التعبير القرآني، د.فاضل السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1987م.
- تفسير الجلالين، دار التربية والنشر، بغداد.

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي (ت911هـ)، د.ت.
- التيسير في القراءات السبع، للداني، ت: أوتو برتزل، مطبعة الدولة، استانبول، 1930م.
- جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت310هـ)، ت: محمد شاكر، مراجعة: أحمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، 1978م.
- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف، مصر.
- خزانة الأدب وغاية الإرب، ابن حجة الحموي، دار القاموس الحديث للطباعة، بيروت.
- درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي (ت420هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1977م.
- ديوان البحتري، ت: الصيرفي، طبعة مصر، 1963م.
- الصورة السمعية ودلالتها البلاغية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، عباس حميد السامرائي، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2001م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت749هـ)، مطبعة المقتطف، مصر، 1332هـ/ 1914م.
- ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم، د.طالب محمد الزوبعي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط1، 1995م.
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبو يحيى زكريا الأنصاري (ت926هـ)، ت: محمد علي الصابوني (ت1250هـ)، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط1، 1350هـ.
- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الدامغاني، دار العلم للملايين، بيروت.

- الكشاف، للزمخشري (ت538هـ)، تحقيق: يوسف الحمّادي، مكتبة مصر.
- لسان العرب، ابن منظور، المطبعة الأميرية، بولاق- مصر، ط1، 1300هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ت637هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1358هـ/ 1939م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة (ت210هـ)، ت: محمد فؤاد سزكين، مصر، ط1.
- معترك الأقران، السيوطي، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ/ 1988م.
- معجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية، مصر، 1973م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403هـ/ 1983م.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ)، مكتبة الخانجي، مصر- مكتبة المثنى، بغداد، 1375هـ/ 1956م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن الزبير الغرناطي (ت708هـ)، ت: سعيد الفلاح، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1403هـ/ 1983م.